

تاريخ القبول: 2024/02/11

تاريخ الاستلام: 2024/01/02

ملخص:

تحتضن منطقة شمال التّاسيلي نازجر تراثاً متعدّداً، ويُعدُّ حصن فلاتيرز أقدمها، وأكثرها حضوراً في تاريخ المنطقة خاصّة، وفي ذاكرة أحداث الحقبة الاستعمارية بصحراء الجزائر بشكل عام. نظراً لموقعه الجيو استراتيجي، فضلاً على ارتباطه بمشروع التّوسع الفرنسي في صحرائنا العميقة. وقد شكّل الحصن مكسباً حيويّاً في عهد الاستقلال الوطني. حتّى بدايات القرن الحالي. حيث صار معلماً مهجوراً ينتظر من الجهات الوصية إمداده بالعناية اللاّزمة، وإعادة الاعتبار. كلمات مفتاحية: التّراث، الاستعمار الفرنسي، حصن، فلاتيرز، شمال التّاسيلي.

Abstract:

The North Tassili-Nazjer region embraces a multiple heritage, and Flatters Fort is the oldest and present in the history of the region in particular, and in the memory of the events of the colonial era in the Algerian desert in general. Due to its geostrategic location, as well as its connection to the French expansion project in our deep desert. It also remained a vital asset during the era of national independence. Until the beginning of this century. It has become an abandoned landmark waiting for the guardian authorities to provide it with the necessary care and restoration.

Keywords: Heritage, French Colonial Fort, Flatters, North Tassili.

واقع التراث الاستعماري المبني في
شمال التّاسيلي نازجر-حصن فلاتيرز
أنموذجا

The reality of the colonial
built heritage in northern
Tassili-Nazjer - Flatters
Fort as an example

العيد بوده/ عضو المجلس الأعلى

للغة العربية، (الجزائر)

elaid88@gmail.com

المؤلف المرسل: الإيميل:



مقدمة:

تُعَدُّ تيماسينين (الاسم القديم للمنطقة)، من المواقع العتيقة في إقليم التّاسيلي نازجر، الرّاسخ في ذاكرة الأرض، وتقاسيم الجمال، وهي واحدة من أبرز مناطق الصّحراء الجزائرية العميقة. التي واكبت مختلف مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويتجلى ذلك في مختلف المباني الأثرية التي خلفها المستوطنون الفرنسيون، ومنها ما يعود إلى أزيد من مائة عام، وإنّ مما يؤكد أهميّة بعض هذه المعالم، بوصفها مكسباً تاريخياً وحضارياً، هو استمرارية بُعْدُها الوظيفي لأزيد من ثلاثة عقود زمنية في مرحلة الاستقلال الوطني المجيد.

لكن المؤسف في الأمر، هو قلة الاهتمام بهذه المكاسب التّراثية، مما جعلها عرضة للتلف، والزوال، على الرّغم من أهميتها في الذاكرة المحليّة والوطنية. ولعل هذا مما دفعنا إلى محاولة توثيقها والإلمام بها. وإنّ مما يدفعنا أيضاً إلى إنجاز هذا البحث المتواضع، هو قلة الدّراسات والبحوث الميدانية، المتعلّقة بهذا التّراث المهدد-في حدود ما توصلنا إليه-ناهيك عن رحيل كوكبة من الرّجال الذين لهم دراية مباشرة بحقائق عدّة حول هذا الموروث الاستعماري، باعتبارهم من شهود مرحلة التّواجد الفرنسي بتيماسينين.

وواجهنا أثناء إنجاز هذا العمل شعور عميق بالمسؤولية المنوطة بنا إزاء التّراث المحليّ الذي انبثقنا في فضائه؛ ذلك أن أبناء المنطقة أولى النّاس بخدمتها، والقيام بواجب ردّ الجميل.

تنبثق أهميّة البحث من أهميّة التّراث الذي يُعَدُّ عنصراً أساسياً في تشكيل الهوية، وبناء الشّخصية الحضارية، وربط حاضر الأمم بماضيها، ويُضَاف إلى هذا أهميّة منطقة الصّحراء الجزائرية التي حظيت بعناية كبيرة من لدن الدّخيل الفرنسي، الذي طبّق فيها سياسات تنموية تشهد عنها الآثار الباقية، لاسيما منطقة تيماسينين التي كانت موقعا استراتيجيا شجّع الجيش الفرنسي على بناء أول برج مراقبة في إقليم الصّحراء على ترابها، كما تتحدّد أهميّة البحث في كونه يتناول منطقة عريقة ذات حضور عميق في تفاصيل الزّمن الغابر، ضف إلى هذا كون الدّراسة من المحاولات البحثية القليلة لاستنطاق المكونات التّراثية الاستعمارية في تيماسينين.

وإن تساؤلات عديدة فرضت نفسها في خضم البحث من قبيل: فيما يتحدّد البعد التّاريخي لحصن فلاتيرز؟ وكيف هو حال هذا الحصن في زمن الاستقلال الوطني؟ وماهي الآليات الكفيلة بعناية هذا المعلم المغمور؟

لا شك أنّنا نصبو من وراء محاولة الإجابة عن هذه الإشكاليات، إلى تحقيق جملة من الأهداف، على غرار: التّوقف عند محطات تاريخية في منطقة شمال التّاسيلي نازجر خلال الحقبة الاستعمارية، لاسيما



وإن منطقة تيماسينين كغيرها من مناطق الوطن، التي تفاعلت مع مختلف المجريات التي عاشتها الجزائر إبان الاستعمار الغاشم، كما أهدف أيضا إلى تحديد مكان وتاريخ تمركز حصن فلاتيرز الأثري مع محاولة التعرف على المراحل الزمنية التي تشكّل فيها؛ لأنّ قراءة الآثار ضمن سياقاتها الزمنية، يتيح لنا التعرف على طبيعة الأحداث التاريخية التي ارتبطت بها.

ويُضاف إلى هذا، خدمة التراث المحلي، والتأكيد على أهميته، والمشاركة في صيانتها، حفظا للذاكرة الجماعية، وأداءً لواجب المسؤولية الثقافية الملقاة على عاتقي كمتعلم.

وبخصوص الآليات المنهجية المعتمدة في البحث؛ فقد استثمرت آلية المعاينة الميدانية، فيما يتعلق بتحديد الموقع الأثري، وتوثيق المعلم فوتوغرافيا. كما استفدتُ من الآلية الوصفية، في تعريف المعلم، إضافة إشراك المنهج التاريخي في تتبع تاريخ العينة التراثية المدروسة، ونظرا لقلّة المراجع المتعلقة بالمنطقة خصوصا، فقد اعتمدت على بعض المصادر الشفوية، وبعض التقارير، والمواقع الإلكترونية، وقد وثّقتُ كلّ ذلك وفق الأطر المنهجية التي تستلزمها قواعد الكتابة العلمية.

ولم يكن لهذه الآليات أن تحقّق الغاية من توظيفها، دون الالتزام بمسار منهجي يضمن ذلك، حيث انتظمت الدّراسة في أربعة مباحث؛ اشتمل أولها على حدود الدّراسة المكانية والمفاهيمية؛ كمفهوم التراث، ومفهوم التراث المبني، وتعريف المبني التاريخي. أما المبحث الثاني فجاء متضمنا للبعد التاريخي لحصن فلاتيرز فيما يتصل بالبعثات الاستكشافية الفرنسية لصحراء الجزائر، ومساهماتها في دعم السياسة التوسعية الاستعمارية. إضافة دوافع ومراحل تشييد حصن فلاتيرز، مع تقديم الوصف التعريفي به. وفي المبحث الثالث حاولنا الوقوف على علاقة الحصن بالذاكرة المحلية التيماسينينية، فخصصناه لسجناء الحصن من أهالي برج عمر إدريس إبان الثورة التحريرية المجيدة. ليأتي المبحث الرابع مشتملا على الحلول المقترحة، والآليات الفعّالة لإعادة الاعتبار لمعلم فور فلاتيرز، ولعناية التراث الأثري بالمنطقة بشكل عامّ، بغرض تفعيل وترقية النشاط السياحي بالجنوب عموما، وبرج عمر إدريس على وجه الخصوص؛ لأنّ تشخيص المشكلة، لا يكون كافيا، ولا يخدم التنمية المستدامة، مالم يُزفّق بحلول من شأنها المعالجة والتّقويم، أو إيجاد الحلّ المناسب.

2. مُحَدِّدَات الدّراسة

1.2 الحدود الجغرافية للدّراسة:

طاسيلي ناجر هي حظيرة وطنية تقع في القسم الجزائري من الصّحراء الكبرى. تقع على هضبة واسعة في جنوب شرق الجزائر وتغطي مساحة تبلغ 72 ألف كيلومتر مربع، كما تُغطي مساحة واسعة من المناظر الطّبيعية الصّحراوية، وقد تمّ إدراج هذه الحظيرة في قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي، سنة 1982م، تثمينا لغناها الجيولوجي والثّقافي والحيواني والنباتي، وفي سنة 1986م، صُنفت كمحمية



عالمية في المحيط الحيوي، وقد صنّفت في المرتبة الثانية ضمن قائمة المناطق المحمية التابعة للاتحاد العالمي للحفاظ على البيئة (IUCN)¹.

تتمثل منطقة شمال التّاسيلي في بلدية برج عمر إدريس المعروفة بتيماشينين (Timassinine) إحدى بلديات ولاية إليزي وتقع شمال الولاية فوق هضبة (تنغرت)، في أقصى الجنوب الشرقي الجزائري، وهي من أقدم البلديات على مستوى القطر الجزائري، إذ كانت عبارة عن ملتقى طرق لقوافل الحجيج والتجارة لمختلف المدن الصحراوية والإفريقية، وهمزة وصل بين الشمال والجنوب منذ أكثر من 8000 سنة². كما تعرف المنطقة إلى جانب التسميتين السابقتين، بعدة تسميات أخرى، على غرار: الزاوية الكحلة -زاوية سيدي موسى بوقبرين- فور فلاتيرز Fort Flatters.

كما تبعد بـ 1200 كلم عن البحر، وتقع على نفس الخطّ الجنوبي مع مونبولي الإيطالية، وتقع عند أول انعطافات العرق المكون للحدود الجنوبية، على خطّ طول 6.81667، ودائرة عرض 28.15، وتُقدّر مساحتها الجغرافية بحوالي 82.280 كم²، يحدها شمالا: ولاية ورقلة وتبعد عنها بـ 500 كم²، وجنوبا ولاية إليزي، وتبعد عنها بـ 750 كم²، وشرقا بلديتي عين أمناس و الدّبداب، ويبعدان عنها بـ 500 كم²، وغربا ولاية تمنراست، ويحدها من الشمال الشرقي العرق الشرقي الكبير، ويبلغ علوه 500 متر، ونجد في الجنوب الشرقي قاسي الطويل، قاسي الشرقي، قاسي المويلح، وارتفاعات كثنانية أخرى تقع شرق البلدية تعرف بـ: إساوان تيفرين، وإساوان إغارارن ويفوق علوها 800 متر. كما تُعرف المنطقة بعدد من الأودية على غرار وادي تنزروفت، ووادي إيكني، ووادي التّامات، ووادي تنزروفت، ووادي الدّيس، ووادي تبنكورت، ووادي أغرغر، إضافة إلى وديان تهمهاوت؛ كوادي إغلولن، ووادي إن أضاغ، ووادي إيسكاون، ووادي تمناهين، ووادي تيتقوين، ووادي تين تمغسويت، ووادي إيندكاك، ووادي أسوف ملّن، ووادي دين فرجان... إلخ³. سنحاول الإلمام فيما يلي بمختلف المشاكل والتهديدات المتعلقة بالتّراث الأثري والطّبيعي بالمنطقة، وسنتبع بعض القضايا بالتّفصيل، بغية وضع القارئ الكريم أمام الصّورة الحقيقة لها.

2.2 المحدّدات المفاهيمية:

أ-تعريف التّراث:

يمكن أن نصف التّراث إجمالاً، على أنه مجموع التّراكمات النّاجمة عن سلوكيات اجتماعية واقتصادية ومهنية وفكرية وثقافية وروحية على مدى فترات زمنية معيّنة، سادت فيها تلك السلوكيات، ثمّ تراجعت أو اختفت. هذه السلوكيات، وقد أصبحت موروثاً، من حيث الجودة والفعالية في وقتنا الحاضر⁴. وينقسم التّراث إلى نوعين؛ مادي ولا مادي. وتراثنا المعني بالدراسة ينتهي إلى النوع الأوّل، ويتحدد بالمباني التي تركها المستعمر الفرنسي، ومن هذا المنطلق وجب التعريف بالتّراث المبني آتياً.



ب-تعريف التّراث المبني:

يُقصد بالتّراث المبني مجموع المباني ذات الأصالة والأهميّة التّاريخية التي ارتبطت بوجود الإنسان، واستمرّت عبر الزّمان شامخة مجابهة كلّ العوامل والتّغيرات زمنيًا وبيئيًا مع الإنسان حتّى أصبحت تشكّل جسدا واحدا مع البيئة والإنسان، لتكوّن بذلك منظومة واحدة لا يمكن فصل جزء منها على الآخر⁵.

ت-تعريف المبني التّاريخي:

يُقصد بالمبني التّاريخي كلّ ما خلفه الإنسان عبر العصور؛ من عمران وعمارة؛ كالمدن القديمة أو بعض أطلالها، أو ما تبقى فيها من الأحياء والمباني العمومية والخاصّة، على اختلاف أنواعها وعصورها وأحوالها، ويدخل تحت إطار المباني التّاريخية حسب ميثاق البندقية كلّ إبداع معماري معزول، أو موقع حضري، أو ريفي شاهد على حضارة خاصة أو تطور متميز، أو حادثة تاريخية، ولا يقتصر هذا المفهوم على المباني الضخمة والرّائعة، بل يشمل أيضا المعالم البسيطة التي أصبحت تحمل عبر مرّ العصور رمزية ثقافية.

وهناك من يُعرّف المبني التّاريخي على أنّه المبني الذي مضى على بنائه مدّة من الزّمن، تختلف حسب تشريعات كلّ بلد، وتتراوح بين خمسين ومائتي عام⁶.

وقد تمّ تعريف المعالم التّاريخية، في المادة 17 من القانون الجزائري رقم 98/04، أن المعالم التّاريخية تتضمن أي إنشاء هندسي معماري منفرد، أو مجموع، يقوم شاهدا على حضارة معينة أو على تطوّر هامّ أو حادثة تاريخية⁷.

3. حصن فلاتيرز-محطّات تاريخية، ووقفات وصفية للمبني:

1.3 البعثات الاستكشافية الفرنسية لصحراء الجزائر:

بعد نجاح الاستعمار الفرنسي في السّيطرة على القسم الشّمالي من الجزائر. بدأ الاهتمام باختراق الصّحراء الجزائرية ذات الأهميّة الجيوسياسية، والاقتصادية، ولذلك أصدر البرلمان الفرنسي سنة 1844م قانونا نصّ على توسيع منطقة الاحتلال نحو الجنوب. في إطار الاستراتيجية العسكرية الخاصة بتوسيع وتمديد عملية الاحتلال⁸. بناءً على المقولة الشهيرة لأنصار التّوسع. ومؤداها: "ينبغي أن نكون سادة في كلّ مكان. وإلا فلن نأمن في أي مكان"⁹.

وقد تجلّى الاهتمام الفرنسي بصحرائنا العريقة في عديد البعثات الاستكشافية القائمة على التّعرف على الإمكانيات الاقتصادية والبشرية، وكذا المظاهر الجغرافية، والأوضاع الاجتماعية والثّقافية لهذه الصّحراء. وهذا من أجل تحقيق أهداف التّوسع الفرنسي؛ الذي يبرزه تقرير الماريشال سولت - soult - وزير الحربية-الذي رفعه إلى الملك لويس فيليب حيث قال: " يجب أن تؤلف الصّحراء الجزائرية صنفا



ثالثاً من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمّرين ولا تطأها الجيوش إلا عرضاً لقمع الفوضى أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية أو لتوسيعها وهي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمّنة¹⁰.

ولأجل هذا، جنّدت فرنسا مجموعة من الرّحالة والمستكشفين، وزوّدتهم بالإمكانات اللازمة التي مكّنتهم من تزويد الإدارة الاستعمارية بمعلومات هائلة حول المظاهر التضاريسية والطبوغرافية والمناخية، والمُكوّن البشري والثقافي لصحراء الجزائر، ناهيك عن المعلومات الاقتصادية لاسيما المجال التجاري نظراً للدور الاستراتيجي الذي كانت تؤديه الصحراء الجزائرية في ربط الصّلات التجارية بين شمال إفريقيا، وجنوب الصحراء الإفريقية. ومن هؤلاء الرّحالة أو المخبرين بتعبير أدقّ، نجد¹¹:

- النّقيب بون مان BONNEMAIN الذي قام سنة 1856م على التّعرف على الطّريق الرّابط بين وادي سوف ومدينة غدامس بليبيا.

- هنري دوفيري DUVEYRIER الذي زار بسكرة في 08 ماي 1859م، ثمّ غرداية، كما زار إقليم توارق الشّمال المقيمين بجمال التّاسيلي نازجر. أين قام بأبحاث مستفيضة عن المكان والإنسان هناك.

- جيرهارد رولفس Gerhard Rohlfs وهو من أصل ألماني. لكنّه انخرط في اللّيف الأجنبي الفرنسي، الذي نجح في اختراق الصّحراء الكبرى عبر الصّحراء الجزائرية بعد زيارته لتوات، فبني عباس، فأدرار، فعين صالح سنة 1864م، وكان وصفه لهذه المدينة الوصف الوحيد الذي وصل إلى العالم قبل احتلال الفرنسيين لها في نهاية القرن التاسع عشر.

- بول صوليي Paul Soleillet الذي زار الأغواط وغرداية في 1873م، ثمّ المنيعه، فعين صالح. حيث قدّم معلومات هامة حول هضبة تادمايت وماجاورها والتي استفادت منها فرنسا في حملتها التّوسعية على الجنوب الجزائري.

- إيريونق دوباري Erwing de bary الذي زار توارق التّاسيلي نازجر، ثمّ وصل إلى غات حيث توفي هناك عام 1877م¹².

2.3 حصن فلاتيرز-مراحل تاريخية ووقائع:

يعكس بناء الحصون والمراكز العسكرية في صحراء الجزائر استراتيجية استعمارية رقابية بعد تسجيل ردود فعل المقاومات الكبيرة ضدّهم من لدن سكان الصّحراء للتّوغل الاستعماري، فوجدت السّلطة الاستعمارية في تشديد الرّقابة على الحدود وترصد حركة تنقل الأفراد والقوافل التجارية أسلوباً فعالاً في منع تجديد المقاومة على أساس أن مناطق الجنوب كانت الملجأ الآمن لتجديد حركات التحرر والمقاومة، فقامت الإدارة الاستعمارية بفرض مجموعة من الإجراءات والتّنظيمات هدفها الحدّ من تنقل



الأشخاص بحرية تامة، وتشديد الرقابة على الحدود بإقامة حصون وأبراج عسكرية للمراقبة على غرار برج فلامون، وبرج شانديز، وبرج جنان بورزق، وبرج المنيع¹³، ناهيك عن حصون التأسيلي نازجر كحصن بولينياك باليزي، وحصن شارلي بجانت، وحصن فلاتيرز ببرج عمر إدريس وهو أول حصن في منطقة الصحراء الجزائرية.

لقد بدأت أشغال بناء هذا البرج مع القائد الفرنسي (بان pien) سنة 1898م. بعدما اختار موقعه القائد الفرنسي (لامي lamy)، في إطار الحملات الفرنسية لاستكشاف الصحراء الجزائرية. ليكتمل إنجازها في: 14 أبريل 1904م، حيث كان مقراً للقيادة الفرنسية في المنطقة، ثم استعمل عشية الحرب العالمية الأولى 1939م، كمقر للقيادة العامة الصحراوية الشرقية.

وقد عرف البرج عدة توسيعات وإصلاحات عميقة، كانت أولى هذه التوسيعات مع النقيب شارلي charlet، قائد الحملة الصحراوية في تيديكلت، حيث أقام بعض الوقت في الموقع سنة 1911م، لكن أكبر التوسيعات والتحويلات تمت خلال العمليات الحربية التي قام بها المقدم مينير meynier، لاستعادة جانت سنة 1916م.

وخلال نفس الفترة عرف البرج توسيعات أخرى، تتمثل في إحاطة الحصن بسياج مثلث الشكل، طويل جدا، يمتد إلى أكثر من مئة متر، للحماية، كما تم إنشاء معقل جديدة في 1928م، ثم تم إنجاز أشغال جديدة بمبادرة من الرقيب الأول لملحقة الآجار، أهمها مهبط للقوات، وجدار حماية ضد الرياح. وفي أبريل 1939م، عشية الحرب العالمية الثانية أصبح البرج مقراً لقائد فرقة الوحدات الصحراوية للشرق، وفي ديسمبر 1954م، تم مضاعفة العمل في ترميم السياج الخارجي في الجهة الجنوبية الشرقية. وفي الفاتح جانفي 1956م، تأسست السرية الصحراوية الرابعة للفرقة الأجنبية في هذا البرج الذي تم تحويله إلى سجن للمعتقلين السياسيين، ومركزا لتعذيب ثوار المنطقة، طيلة الثورة التحريرية، حيث ظل تحت سيطرة القوات الفرنسية إلى غاية أوت 1963م، تنفيذاً للبنود التي أسفرت عنها اتفاقيات معاهدة إيفيان¹⁴.

أما بخصوص تسمية هذا البرج باسم بول فلاتيرز، فيرجع إلى رغبة المستعمر الفرنسي في تخليدا ذكرى القائد الفرنسي فلاتيرز، وهو ضابط فرنسي كان في الجزائر منذ سنة 1880م، عاش بين: 1832-1881م، وقد تولى قيادة الفريق الاستكشافي لمشروع السكة الحديدية استنادا إلى رغبته، و كان يتقن اللغة العربية والطارقية، ولهذا كان عليه أن يقوم بكشف ممر السكة الحديدية العابرة للصحراء، غير أنه في أثناء رحلته الثانية قتله الطوارق في: 16 فبراير 1881م.¹⁵ أثناء قيامه بجولة استكشافية قادها إلى منطقة الصحراء، في إطار التمهيد للسياسة التوسعية الفرنسية في الأراضي الجزائرية، سيما وإن القوات



الفرنسية آنذاك لم تكن قد بسطت نفوذها على ساكنة الصحراء بعد. وقد حاولت ذلك من خلال البعثات الاستطلاعية التي تعد بعثة فلاتيرز إحداها.

لقد انطلقت حملة فلاتيرز العسكرية والفنية قصد الشروع في إنجاز خط السكة الحديدية العابر للصحراء من مدينة ورقلة في 05 مارس 1880م، مروراً بواحة (تيماسنين) برج عمر إدريس؛ من أجل تسهيل مهمته والتي قوبلت بالرفض، لكنه أصر على المواصلة باتجاه غات بليبيا التي تبعد بحوالي 800 كلم عن تماسنين، وصولاً إلى بحيرة منخور بالقرب من منطقة إيليزي بحوالي 40 كلم غرباً في عرق إغرغران، وقد وجدت هذه البعثة نفسها محاصرة من كل الجهات، من طرف الطوارق، فاضطر فلاتيرز إلى الفرار والعودة إلى ورقلة التي دخلها 17 ماي 1880م، وبذلك فشلت محاولته الأولى في دخول المنطقة، ثم خرج الكولونيل فلاتيرس في بعثة ثانية، بتاريخ: 14 ديسمبر 1880م، ولاشك أنه قد تقلد هذه الرتبة (كولونيل) بعد عودته من البعثة الأولى، وقد كانت انطلاقته من ورقلة نحو منطقة الهقار، حيث وصل إلى أمقيد بتاريخ: 18 جانفي 1881م، مروراً بسبخة أمدرور، التي بعث أحد زعماء الطوارق بمجموعة من رجاله ليساعدوا البعثة ويرشدوها على مواصلة سيرها في سهول أمدرور، L'amador. وفي شهر فبراير من نفس السنة وصلت البعثة بئر الكرمة، ووقعت في كمين لمجموعة من المجاهدين التوارق، تحت قيادة كل من الشيخ أمود بن المختار إيمان، الزعيم الروحي لقبيلة إيمان، إلى جانب أهيتغال سلطان الأهقار وزعيم قبيلة كيل غلا، حيث شنوا هجوماً على تلك البعثة، وقد قتل في تلك المعركة قائد البعثة فلاتيرز ومن معه، وعلى إثر ذلك شيد الاستعمار الفرنسي نصباً تذكاريًا بالقرب من بحيرة منخور، تخليداً لذكرى الكولونيل فلاتيرز¹⁶.

3.3 وصف المعلم التاريخي حصن فلاتيرز:

ينتصب هذا المعلم جنوب شرق المدينة، فوق رمال أهوكار، المتكئة على ذاكرة تاريخية وازنة، تشكل مكوناً راسخاً في تاريخ المنطقة إبان الاستعمار الفرنسي؛ بالنظر إلى موقعه الجيو استراتيجي المكشوف على مداخل المنطقة على غرار أمقيد وإيليزي وورقلة وجانت.

برج فلاتيرز حصن عسكري مبني بالحجارة الطينية المسلحة بالإسمنت. تحيط به الرمال من كل الجهات، ويتواجد في مرتفع مكشوف على كل الطرق المؤدية إلى ورقلة وجانت وأمقيد، ويحيط بالمعتقل سور خارجي يفوق علوه 7 أمتار، ويُعرف المكان الذي يوجد فيه الحصن لدى ساكنة المنطقة بـ أهوكار. "يتكون هذا البرج من مساحة مستطيلة الشكل، بمقياس 23م على 26م، محصن بمعاقل من جانبين منحرفين، ومدعم من الواجهة الجنوبية، حيث نجد أربعة غرف بمساحة خمسة أمتار على مترين وستة سنتيمتر، (5 على 2.6م) مغطاة بقباب من الحجارة والجبس، ومستندة إلى قضبان على شكل حرف T،



تتموقع أولى هذه الغرف في الزاوية الجنوبية الشرقية، وهي موجهة نحو مسكن أحد الضباط، وتضم مدخنة. تفتح هذه الغرفة على أحد المعازل التي يمكن أن تصلح كغرفة نوم. المعقل الآخر يقع في الجهة الشمالية الغربية وتغطيه قبة، ثم هناك سلم للصعود إلى السطح المحاطة على الجوانب الأربعة بدريزان (parapet)، ارتفاعه 1.2م، وتحت السلم هُيأَ مخزن صغير منفتح على الغرفة الثانية"¹⁷.

4.3 سجناء فورفلاتيرز من أهالي برج عمر إدريس خلال الثورة المجيدة

تجدر الإشارة إلى تعرض مجاهديننا إلى اعتقالات السلطة الفرنسية ومضايقاتها. ومن هؤلاء المجاهدين نذكر الشهداء سيدي الشيخ الإمام محمد بودة (1903م-1967م)، وأحمد كادي المدعو التيلامو (1917م-1969م) وعبد القادر بن إبراهيم بن سالم المدعو كاكل (1937م-1985م)، وامبارك بن أحمد دحماني (1916م-1981م)، وبوجمعة بن محمد حمادي (1930م-2012م)، وسالم بيلو بن محمد بن سالم (المدعو بيلو) (1939م-2002م)، وأحمد بن إبراهيم بن سالم المدعو حميد (1935م-2019م) وأحمد بن التوي (المدعو الغول)، والطالب حمية من ورقلة. ومن هؤلاء من جمعه السجن بالمجاهد الراحل مشري بن بلقاسم بلعيد (1932م-2017م)¹⁸، هذا الأخير كان عميدا للشرطة العلمية بعد الاستقلال، وهو الذي قام بتلحيد مفدي زكريا بعد استقبال جثمانه العائد من تونس الشقيقة.

وقد أورد لنا سيدي الشيخ الإمام محمد البركة بودة حفظه الله (من شهود المرحلة الاستعمارية) خلال أصبوحة الاحتفال بستينية الاستقلال الوطني أن: الحاج كاكل رحمه الله خرج من السجن بأثار تعذيب واضحة على مستوى الوجه. كما أن السبب وراء إطلاق سراح أولئك المعتقلين هو تدخل الملازم الأول "جي" الذي قدم من مدينة جانت وطلب من السلطة الفرنسية إطلاق سراحهم معتقدا أنهم غير مدركين لواقع الكفاح المسلح في المنطقة. فقال لزملائه الفرنسيين ما معناه: "دعوهم في غفلتهم ولا تلفتوا انتباههم إلى العمل الثوري، فإنهم غير واعين بما يجري. فإن مثل هذه الاعتقالات قد تشجعهم على التمرد." لكن هيئات أن يكون أمثال أولئك الأماجد في غفلة من أمر ثورتنا المظفرة"¹⁹.

وفي شهادة مسجلة للمجاهد مشري بلعيد، فقد أدلى بشهادته التوثيقية حول الدور النضالي لسيدي الشيخ محمد بودة. وذكر في هذه الشهادة أسماء الذين تعرف إليهم في سجن فلاتيرز حيث تم توقيع الشهادة بتاريخ 09 جوان 2009م. بإمضاء المجاهد مشري بلعيد بن بلقاسم، وتأشيرة بلدية تبسبست بدائرة تقرت.

وأنقل فيما يلي مقتطفاً من شهادة المجاهد الراحل مشري بلعيد الذي يقول²⁰:

"أشهد أنا في كامل قوايا العقلية بأني التقيت مع الرفيق المجاهد بودة محمد بن عبد القادر المعروف بالطالب بودة والمولود خلال 1903م. ببرج عمر إدريس كان ذلك سنة 1959م. وقد عرفتُه إماماً



بمسجد القرية برج عمر إدريس (زاوية سيدي موسى) ومُعَلِّماً للقرآن الكريم وأصول الدين يُدَرِّسُ الصَّغار والكبار. بدأ نشاطه الثوري من خلال حُطْبِهِ المنبرية الَّتِي كان يدعو فيها لمحاربة الاستعمار بكلِّ الوسائل المتاحة آنذاك. إضافة إلى ذلك كان يقوم بتوعية الشَّعب من مخاطر الاستعمار ومن أساليبه الماكرة لطمس الهوية الوطنية. كما كان يدعو الشَّعب إلى الالتفاف حول الثَّورة التَّحريرية المجيدة وموازرتها بكلِّ قوة. كما كان يُنظِّمُ الاجتماعات، ويقوم بجمع الأموال والتَّبرعات لصالح الثَّورة رُفْقَةً رفيقه المجاهد كادي أحمد المدعو تيلاموا. كما جعل من بيته مأوى للمجاهدين والمُسَبِّلِينَ كما كان يقوم بنقل المعلومات بين المجاهدين. وقد عُيِّنَ على رأس قريته زاوية سيدي موسى برج عمر إدريس حالياً من قبل جيش التَّحرير الوطني بتكليف من مسؤول الولاية السَّادسة المنطقة الثَّالثة النّاحية الثَّالثة آنذاك الملازم الثَّاني رشيد الصَّائم (نسخة من التَّكليف مرفقة مع الشَّهادة). ولما اكْتُشِفَ أمره من قِبَل السُّلطات الاستعمارية. أُلْقِيَ عليه القبض رُفْقَةً مجموعة من الرِّفقاء: ألدان ودحماني الحاج المبارك وبن سالم عبد القادر بن إبراهيم وحمادي بوجمعة بن محمَّد وبن سالم أحمد بن إبراهيم واقتيدوا جميعاً إلى سجن (Fort Flatters) ببرج عمر إدريس حيث كُنْتُ أَقْبَعُ هناك في السَّجن الانفرادي أين تَعَرَّضْتُ إلى أبشع صور التَّعذيب هناك. ثم أُفْرِجَ عن الطَّالب بودة محمَّد ورفاقه وبقيت أنا هناك وكان ذلك سنة 1960م.

4. حصن فلاতির بعد الاستقلال – حالته وآليات العناية به:

1.4 الوضع الحالي لحصن فلاতির:

تجدر الإشارة إلى تغيير تسمية البرج بعد الاستقلال. من برج فلاতির إلى برج عمر إدريس؛ نسبة للشَّهيد محمَّد إدريس، والمدعو ثوريا بعمر إدريس. وقد ظلَّ هذا البرج تحت الوصاية الإدارية لوزارة العدل الَّتِي واصلت العمل به كسجن منذ الاستقلال إلى غاية عام 2001م، حيث بدأت تركيبته البنائية تشكل خطراً على المسجونين بفعل تعرُّضها للتَّآكل، مما أدَّى ببعض أجزائه إلى التَّشقق والانهيار، فصار البرج مهجوراً، وما يزال هذا المعلم في وضعية سيئة تزداد سوءاً على سوء.

لكن السَّؤال الَّذِي يطرح نفسه: من هو عمر إدريس الَّذِي حمل البرج اسمه في زمن الاستقلال الوطني؟

هو الشَّهيد محمَّد إدريس، والمكفي ثوريا بالرَّائد عمر إدريس. ولد في 15 مارس 1931م، في منطقة القنطرة بمدينة بسكرة ولاية الأوراس آنذاك، وقد زاول دراسته بمسقط رأسه في مدرسة الهدى التَّابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تعلَّم العربية والفرنسية، كما حفظ القرآن الكريم. لكنه اضطرَّ إلى التَّوجه إلى الحياة المهنية؛ نظراً للظُّروف الاجتماعية الصَّعبة، فاشتغل في صناعة الأحذية، ثم



انتقل إلى باتنة، فالعاصمة، ليستدعي بعد ذلك لأداء الخدمة العسكرية سنة 1951م، في سلاح المدفعية الفرنسي في مدينة أريس ولاية باتنة بمنطقة الأوراس.

أما عن نشاطه الثوري، فقد تكفل بمهمة الاتصالات في مدينته عشية اندلاع الثورة التحريرية المباركة، ثم انضم إلى جيش التحرير الوطني بالأوراس سنة 1955م، ومن الأوراس انتقل إلى الصحراء للعمل رفقة الشهيد عاشور زيان، وذلك بتكوين الأفواج لتقوم بعمليات جمع الأموال، الحراسة، التّموين، نقل الأخبار وغيرها، وقد أظهر عمر إدريس براعة مشهودة في تنظيم العمل الثوري في المنطقة الثانية من الولاية السادسة، مما جعل القائد زيان عاشور يعتمد عليه في القيام بالتوعية، وفي عملية جمع السلاح وتنظيم الجيش نيابة عنه، وذلك أثناء توجهه إلى الأوراس في مارس 1956م، وفي ماي من السنة نفسها كُلف عمر إدريس بالتصدي لجيش قوات الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة الجنرال محمد بلونيس، الذي تسرّب إلى نواحي مناعة. وفي 10 جوان 1956م، خاض الشهيد الرائد معركة "قعيقع"، التي أظهر خلالها استماتة رائعة في قتال الجيش الفرنسي الذي تكبد خسائر معتبرة، واثّر استشهاد القائد زيان عاشور في 07 نوفمبر 1956م.

عُيّن عمر إدريس خلفا له مكلفا بتدمير جيش بلونيس، مواصلا تنظيم الثورة، وقيادة العمليات والمعارك الجهادية، وفي شهر ماي 1958م، عُيّن عمر إدريس عضو قيادة الولاية السادسة برتبة رائد تحت قيادة العقيد سي الحواس، الذي كلفه بقيادة الولاية السادسة أثناء سفره إلى تونس. وفي يوم 29 مارس 1959م، أُسرَ الرائد عمر إدريس في معركة جبل ثامر بعد إصابة بليغة في رأسه وكتفه، كما عرفت المعركة استشهاد كلّ من: كلّ من العقيدين سي الحواس والعقيد عميروش، وبعد أن عجزت القوات الفرنسية عن الحصول على أية معلومات من الأسير المجاهد خلال عمليات الاستنطاق، قامت بإعدامه جنوب مدينة الجلفة دون محاكمة يوم 29 مارس 1959م، رغم أسره بجراح بليغة²¹.

2.4 آليات العناية بمعلم حصن فلاتيرز

إن للتّرميم له معان كثيرة؛ منها إعادة المبنى إلى حالته الأصلية، عن طريق إعادة بنائه، أو إصلاحه حسب ما تتطلب حالته، ويمكن التّخلص من التعديلات التي طرأت على المعلم الأثري أثناء محاولة ترميمه، قصد إعادته إلى أصلاته الأولى، وذلك في حدود تقويم محسوب تماما، ويُفضّل الالتزام بالخطوات الآتية للتّرميم:

أ-عمل رسومات للمبنى، في حالة عدم وجود رسومات أصلية، وإن وُجدت الرسومات فيجب مطابقتها على تمّ تنفيذه على الطّبيعة، وتحديد ما إذا كان هناك تعديلات أجريت بمعرفة السّكان أنفسهم.

ب-تسجيل كلّ ما يتعلق بالمبنى فوتوغرافيا. ووضع تقرير مفصل عن المبنى، أو الموقع المراد ترميمه.

ت-التّريث في تنفيذ عملية الإصلاح والتّرميم، ويُستحسن القيام بعدّة تجارب.



ث- تكليف المختصين بعملية الترميم، وعدم مراعاة أي طراز معماري دون غيره، بسبب نظرة سياسية أو ما إلى ذلك من الأسباب.²²

5. خاتمة:

مما سبق بيانه نخلص إلى عدّة نقاط:

- بدأ اهتمام الاحتلال الفرنسي بالصّحراء الجزائرية مبكرا مما يثبت نواياه التّوسعية الاستيطانية الشرسة.
- يعتبر برج عمر إدريس (فلاتيرز) غنيمة حرب، وأقدم حصن استعماري في إقليم التّاسيلي.
- إن ترميم وإعادة الاعتبار لحصن فلاتيرز يمثل حفظا للذاكرة الوطنية من الاندثار، وعليه فإنّ مسألة العناية بهذا المعلم تشكّل ضرورة ومسؤولية وجب على الهيئات المعنية التّصدي لها.
- نوّكد ختاماً أن كتابة التّاريخ المحليّ مهمّة ثقيلة ملقاة على عاتق كلّ متعلم، فواجب إذن على النّخب المحليّة أن تتحمل مسؤوليتها البحثية والتّوثيقية؛ حفاظاً على مكاسب الذاكرة التّاريخية لمنطقتنا العريقة التي لم تتأخّر على الحضور الفعلي في مختلف مراحل التّاريخ الوطني المجيد، كمنطقة برج عمر وإدريس كما لا يفوتنا التّأكيد على ضرورة رعاية مكونات التّراث الأثري التّاريخي، والعمل على إصباح طابع الحماية عليه، بهدف تمكين الأجيال من معرفة مجريات الماضي، والاستفادة منها في الحاضر والمستقبل.

7. ملاحق:

أولاً: صور المَعْلَم إِبَّان الاحتلال الفرنسي





الصورة رقم 01: صورة علوية شاملة لمبنى المعتقل



الصورة رقم 02: صورة علوية مقربة للمعتقل

ثانيا: صور المَعْلَم بعد أزيد من 50 سنة من الاستقلال





الصورة رقم 03: المحيط الخارجي للمعتقل

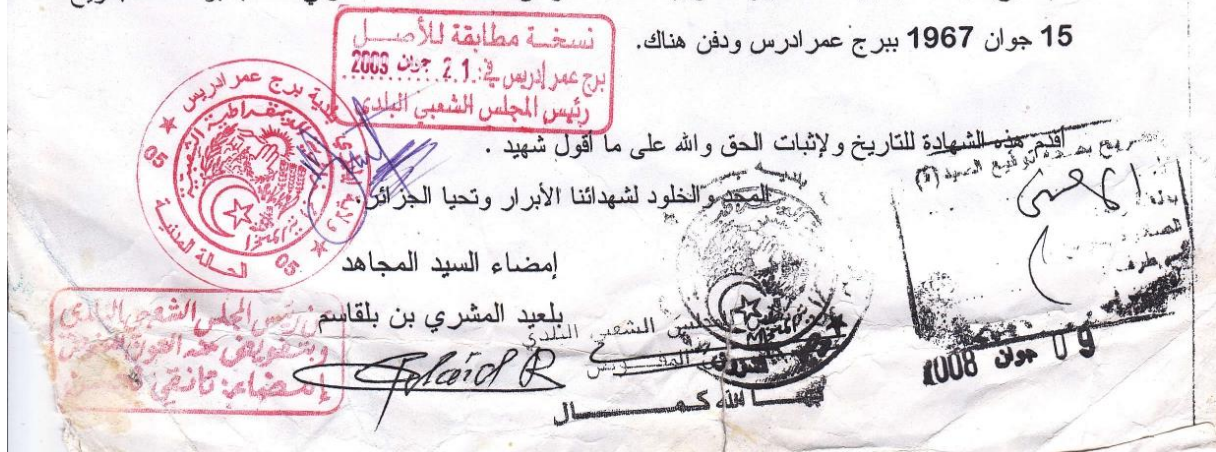


الصورة رقم 04: من داخل المعتقل المتهاك



شهادة مجاهد

أنا الممضي أسفله السيد: بلعيد مشري بن بلقاسم حامل بطاقة التعريف الوطنية رقم 107/506
450506 الصادرة بتاريخ 1999/02/01 عن دائرة تقرت ولاية ورقلة . ونسخة من سجل أعضاء جيش
التحرير الوطني والمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بطاقة رقم 110/و/14 30400723
أشهد أنا في كامل قوايا العقلية بأنني إنقيت مع الرفيق المجاهد بوده محمد بن عبد القادر المعروف
بالطالب بوده والمولود خلال 1903 ببرج عمر إدريس كان ذلك سنة 1959.
وقد عرفته إماما بمسجد القرية برج عمر إدريس (زاوية سيدي موسى) ومعلما للقرآن الكريم وأصول
الدين يدرس للصغار والكبار، بدأ نشاطه الثوري من خلال خطبه المنبرية التي كان يدعوا فيها لمحاربة الاستعمار
بكل الوسائل المتاحة آنذاك إضافة إلى ذلك كان يقوم بتوعية الشعب من مخاطر الاستعمار و من أساليبه الماكرة
لطمس الهوية الوطنية كما يدعوا الشعب إلى الالتفاف حول الثورة التحريرية المجيدة و موازرتها بكل قوة كما
كان ينظم الاجتماعات ويقوم بجمع الأموال والتبرعات لصالح الثورة رفقة رفيقه المجاهد كادي أحمد المدعو
تيلاموا، كما جعل من بيته مأوى للمجاهدين والمسلمين كما كان يقوم بنقل المعلومات بين المجاهدين. وقد عين
على رأس قرية زاوية سيدي موسى برج عمر إدريس حاليا من قبل جيش التحرير الوطني بتكليف من مسؤول
الولاية السادسة المنطقة الثالثة الناحية الثالثة آنذاك الملازم الثاني رشيد الصائم (نسخة من التكليف مرفقة مع
الشهادة). ولما اكتشف أمره من قبل السلطات الإستعمارية ألقى عليه بالقض رفقة مجموعة من الرفقاء :
ألودان ودحماني الحاج إمبرك وبن سالم عبد القادر بن إبراهيم وحماضي بوجمعة بن محمد وبن سالم أحمد بن
إبراهيم واقتيدوا جميعا إلى سجن (fort flatters) ببرج عمرادرس حيث أقيع هناك في السجن
الإنفرادي أين تعرضت إلى إشعاع صور التعذيب هناك.
ثم أفرج عن الطالب بوده محمد ورفاقه وقيمت أنا هناك وكان ذلك سنة 1960 توفي الطالب بوده محمد بتاريخ
15 جوان 1967 ببرج عمرادرس ودفن هناك.



الصورة رقم 05: شهادة اعتراف المجاهد مشري بلعيد بجهاد الشيخ محمد بوده وبدخوله سجن فلاتيرز
مع مجموعة من مجاهدي المنطقة.

8. الهوامش:



- ¹ - بودة العيد، تيماسينين وهج التراث الأثري والطبيعي، دار يوتوبيا للنشر والتوزيع، تيارت-الجزائر. 2020م. ص: 16.
- ² - ويكيبيديا، تاريخ النشر: سنة 2013م، تاريخ التصفح: 2019/10/01م، <https://ar.wikipedia.org/w/index.php>
- ³ - بودة العيد، المرجع السابق، ص ص 20-30.
- ⁴ - محمد البشير شنيقي، التراث الأثري إرث وأمانة وجهة نظر، (مقال علمي)، مجلة "الدراسات الأثرية - آثار" - معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، مج 10، ع 02، 2013م، ص 11.
- ⁵ - معروف بلحاج، تصنيف التراث الجزائري بين الواقع والعوائق، معروف بلحاج، مجلة منبر التراث الأثري، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان/الجزائر، مج 02، ع 03، 2014م، ص 175-176.
- ⁶ - معروف بلحاج، المرجع السابق ص 176؛ والمباني التاريخية عدّة أنواع؛ يتمثل النوع الأول في المباني الحية؛ كالمعابد والكنائس والمساجد والمدارس، والقصور، والحمامات، والأسبله والجسور، والخانات، والأبواب والأسوار، والأبراج. أما النوع الثاني، فيتمثل في الخرائب والأطلال؛ وهي بقايا مبنى ما تم هجره وتخريبه. ويتمثل النوع الثالث في المباني، والمدن الأثرية المدرسة، التي غالبا ما تغمرها السيول والأتربة والرّمال، ولا يتم التعرف على مظهرها إلا بإجراء عملية التنقيب عليها، وإزاحة الأتربة المتراكمة عليها، ويمكن أن نذكر كمثال مدينة سدراتة الأثرية، المرجع نفسه، ص. 177.
- ⁷ - القانون 98-04، الجريدة لرسمية الجزائرية، العدد 44، ص 06.
- ⁸ - رضوان شافو، أساليب الإدارة الاستعمارية في إخضاع سكان مناطق الجنوب الجزائري، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران/الجزائر، مج 04، ع 12، 2018م. ص 284.
- ⁹ - رضوان شافو، المرجع نفسه، ص ص 283-284.
- ¹⁰ - أندري برينان وآخرون، الجزائريين الماضي والحاضر، تر. رابح اسطنبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص ص 384-385.
- ¹¹ - للتزود بتفاصيل أكثر عن رحلات هؤلاء. يُنظر: عبد القادر بوبايا، دور الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مجلة عصور الجديدة، مختبر البحث التاريخي "تاريخ الجزائر" بجامعة وهران/الجزائر، ع 06، 2012م، ص ص 23-25.
- ¹² - إبراهيم مياشي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م، ص 48.
- ¹³ - رضوان شافو، المرجع نفسه، ص ص 293-294.
- ¹⁴ - تيماسينين بين الأصالة والمعاصرة *Temassinine Entre Authenticité et Modernité*، تأليف مجموعة من الإعلاميين، دون بيانات نشر، ص ص 13-14.
- ¹⁵ - René Pottin, , *Flatters, Collection, les Grands Coloniaux*, Paris 1948, 6E, p 98.
- ¹⁶ - إبراهيم العيد بشي، دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة/الجزائر، مج 5، ع 11، 2013م، ص 33.
- ¹⁷ - تيماسينين بين الأصالة والمعاصرة، المرجع نفسه، ص ص 12-13.
- ¹⁸ - مقابلة شفوية مع والدّي سيدي الحاج عبد القادر بودة (1941م-2023م)، بتاريخ: 20 جانفي 2020م. بمقر منزلنا الكائن بحي العين العتيق. بدائرة برج عمر إدريس-ولاية إليزي.



- ¹⁹ - تعقيب موجز لسيدى الشّخ الإمام محمّد البركة بوده (1945م)، خلال النّدوة التّاريخية المقامة احتفالاً بالذّكرى السّتين لاستعادة السّيادة الوطنيّة. بمقر الضّيافة وسط المدينة ببلدية برج عمر إدريس. بتاريخ: 2022/07/05م. في حدود التّاسعة صباحاً.
- ²⁰ - صورة الرّسالة مدرجة في ملاحق الدّراسة.
- ²¹ - العيد بوده، المرجع السّابق، ص 27.
- ²² - لورتان بختي، طرق المحافظة والتّهيئة للمواقع والمعالم الأثريّة، مجلة منبر التّراث الأثري، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، مج 2، ع 2. 2013م، ص 143.

